سلسلة ام القرى الثقافية ٢

فلسفة الانتظار العملي

الدكتور عبدالهادي الفضلي

مؤسسة أم القرى

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة:

الانتظار لفظ عميق ومفهوم دقيق.. الانتظار معنىً حُمل كشعار لطائفة، وهذه الطائفة طالما حلّقت حوله وتعلّقت به ..

الانتظار مفهوم كالبحر في مدّ وجزر، فالبعض أعطاه معنى أمل يبشرى وبشرى بأُمل، وقالوا انّه صرخة مدويّة ودويٌّ في صراخ وفجر في حماسة وحماسة في فجر، وقالوا: انّه فلسفة شامخة وعقيدة عظمى.

والبعض الآخر نقيض هؤلاء فقالوا: انّه التقاعس والاستسلام، والركود في جو الاختناق، وتكدّس الأدخنة القاتلة، والبقاء هكذا الى بزوغ فجر الايام الذهبية والعيش في بعدٍ عن روح الجهاد والقيام بأعباء المسؤولية الملقاة في جوٍ حيث تعشعش دياجي الظلم الناشر دياجيره على

أرجاء المعمورة.

يقف الانسان المؤمن في حيرة من أمره، لمن أقول: نعم ولمن أقول: لا! وهو يعيش في عصر سباق الحضارات وفي عهود أنظمة حكم جبّارة وسفّاكة.

يعيش وهو يواجه جبل المشكلات المعاصرة، وتيارات الزمن المتلاطمة الجارفة، فيسأل عن موقعه في الصراع وعن وظيفته ما هي؟ التحرّك أم الجمود؟!

من هنا انطلق المفكّر الإسلامي العظيم العلاّمة حجّة الإسلام والمسلمين الشيخ عبدالهادي الفضلي ليضيء الطريق أمام الأمة ويقتطف قبساً من فكر رسول اللّه وعليّ وذريّته ويحمله أمام الأمة لتستنير بنوره وهي تواجه صراع الحضارات وهي تعيش على خط النار أمام بقية الحضارات ويبيّن ما هي وظيفة الإنسان المؤمن في هذه الحقبة الزمنية، فوضع النقاط على الحروف وبيّن ما هو الانتظار وما هي فلسفته، وما هي الحضارة الإسلامية التي تعيش في صراع مع الحضارة الاوروبية، وما هي نتيجة الصراع من خلال الأرقام والنتائج التي توصّل إليها الغرب بعد أن بيّنها الإسلام من خلال القرآن والسنة.

بيّن العلاّمة ذلك من خلال محاضرتين ألقاهما في مناسبة المولد المبارك لصاحب العصر والزمان (عج) حيث كانت الأولى بعنوان «فلسفة

الإنتظار العملي» وهي هذا السِفْر الذي بين يديك، والأُخرى سوف تطبع لاحقاً ضمن سلسلة أُمّ القرى الثقافية (٣) تحت عنوان «إمكانية تفوّق المسلمين مدنياً».

مؤسسة أُمّ القرى

بسم الله الرحمن الرحيم *

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين ...

يا مشرق النور ان الليل معتكر تجهمت منه آفاق وأنحاءُ
متى نرى الفجر يمحو كل داجية تستجدّ بهذا الكون أضواء
هذي الركائب في الصحراء قد وقفت حيرى وفي البيد أهوالٌ ورمضاءُ
وذي السفينةُ والامواجُ صاخبة لا يستقيم لها في اليمّ إرساءُ
قل للجحافل تنهض من مراقدها فقد خلت من صهيل الخيل بيداءُ
ولبِّ للحق يا بن الحق دعوته فقد عراه من التضليل إعياءُ
كتيبةُ الله لم تهدأ على ترةٍ أو تستجب للتغاضي وهي خرساءُ

سأحاول أن اتناول معنى الانتظار بالتوضيح وفي حدود الاختصار والتركيز، ومن جانبين: من جانب التراث وما ورد حول وفي معنى

(*) محاضرة أُلقيت بتاريخ ١٦ شعبان ١٤١٤هـ

الانتظار من الروايات والفتاوى، ومن جانب الواقع المعاش، وبماذا يُفسر الانتظار.

فمن جانب الروايات أو الجانب الاول:

هناك روايات تؤكد على الانتظار وأن لا ينسى المسلمون أو يتناسوا فكرة الانتظار، دائماً ينبغي للمسلم ان يكون على تذكّر وترقّب لخروج الامام المهدي (عج)، والروايات نفسها تشير الى ان الانتظار اذا كان موجوداً عند الانسان وكان الانسان يترقّب ظهور الامام المهدي يثاب على هذا الترقّب، يثاب على هذا الانتظار، وهناك روايات أُخرى جاءت على مجموعات بعضها يفسر الاستعداد بالاستعداد العسكري؛ فقد ورد في بعض الروايات انه ينبغي للمسلم أن يكون لديه ولو سيف، وهذا كناية عن الاستعداد العسكري لخروج الامام المنتظر (عج)، وهناك مجموعة أُخرى من الروايات تفسر الانتظار بالتهيء فكرياً لخروج الامام المنتظر ـ وسأوضح بعد هذا معنى (فكرياً) ـ أي ماذا يراد بالتهيء الفكري لخروج الامام المنتظر(ع) أو كيف يتهيأ المسلمون ويستعدون فكرياً لخروج الامام المنتظر. وهناك روايات قد يُفهم منها الاستسلام، أي انه في فترة الانتظار على المسلم ان يستسلم للواقع ولا يتحرك لا هنا ولا هناك، هذه الروايات على قلّتها ضعيفة السند، فقد رجعت الى بعضها لأتعرّف سندها فرأيتها ضعيفة السند؛ مضافاً الى ان هذه الروايات

لا تقاوم الروايات الاخرى؛ لان الروايات الاخرى من حيث الكثرة إن لم تبلغ حد التواتر فهي تبلغ حد الاستفاضة. فمن هنا هذه الروايات لا تصادم ولا تناهض تلك الروايات الاخرى، هذا ملخص ما جاء في الروايات.

في الفتاوى:

فتاوى العلماء التي عادةً ما تقوم على أساس من هذه الروايات او على اساس ما يسمّى في الفقه الجعفري ــ بالذات ــ بالعناوين الثانوية، يعني ان الفقيه الإمامي يحاول ان يتعرّف الظروف المحيطة او الظروف السابقة لخروج الامام المهدي، والظروف التي يعيشها المسلمون في عصره؛ ومن خلال معرفته لهذه الظروف يقدّر ما ينبغي ان يُعطى من فتوى هنا: فهناك من الفتاوى ما يوجب تطبيق الاحكام الاسلامية على المسلمين في فترة الانتظار، وهذه فتوى أكثر الفقهاء، فأكثر الفقهاء يقولون لا يجوز تعطيل الحدود ولا يجوز تعطيل الاحكام؛ توقعاً لخروج الامام المهدي، بل يجب على المسلمين ان يقوموا بتطبيق الاحكام الشرعية وفي كل مجالات الحياة اجتماعيةً، واقتصاديةً، وسياسيةً، وعسكريةً، والى آخره، وهذا رأي أكثر الفقهاء أو تقريباً جل الفقهاء وبما يقرب من الإجماع.

وهناك من الفقهاء ــ وهم قلة ــ يذهبون الى وجوب تطبيق

الأحكام الإسلامية أيضاً؛ ولكن عند الأمن من الخطر، وعندما أقول تطبيق الأحكام الإسلامية أعني بذلك إقامة دولة إسلامية تطبّق الحكم الإسلامي، أي يعمل المسلمون على وجود حكم إسلامي في بلدانهم وفي مجتمعاتهم.

هؤلاء الفقهاء الذين يقولون انّ هذا الوجوب مشروط بالأمن من الخطر، يقولون أن هذا الوجوب مقيّد بالأمن من الخطر؛ اذا لم يكن هناك ضرر على بيضة الإسلام، يعني اذا لم يكن هناك ضرر على الإسلام كمبدأ أو على المسلمين كأمة في هذه الحالة يسقط هذا الشرط وعلى المسلمين ان يتحملوا هذا الخطر ويقيموا او يحافظوا على الاسلام كمبدأ وعلى المسلمين كأمة. وهناك فئة قليلة تذهب الى ما يسمى بفصل الدين عن الدولة أو فصل الدين عن السياسة، وهو ان نركن الى الإستسلام ونترك كل شيء، مع انّه لا توجد لدينا روايات أو نصوص يُستفاد منها هذا المعنى؛ لأنّ الضرورة من الدين تفرض على المسلم متى استطاع ان يقيم الحكم الإسلامي يجب عليه ان يقيم الحكم الإسلامي، وهذا لا خلاف فيه. وهؤلاء الذين يقولون هذا القول قد يستفيدون هذا من ظروف معينة أو لخلفيات أو لشبهات؛ لكن مع هذا يبقى هذا الرأي بعيداً كل البعد عن طبيعة الإسلام وواقع الإسلام كنظام للحياة؛ لأنّه يعني تعطيل الإسلام كنظام للحياة ولا يجوز ان يعطّل الإسلام كنظام للحياة. وإذا كان هناك

شيء ممكن ان يُتشبّث به، هذا لا يُسوّغ لنا ان نقول ان الإسلام يُعطّل ولا يُطبّق؛ حتى يخرج الإمام المنتظر. هذا خلاصة ما يدور في فلك الروايات أو في إطار الفتاوى.

الجانب الثاني: وهو الذي أُريد أن أتحدّث عنهُ بشيء من التفصيل، وربما يعنينا أكثر من الجانب الأول، وهو الوضع العالمي الذي يعيشهُ المسلمون الآن والذي يعيشهُ الناس الآخرون غير المسلمين.

فماذا يفرض هذا الوضع العالمي على المسلمين وهم ينتظرون خروج الإمام المهدي (عج) ؟

أنا أُريد أن أُركّز على هذه النقطة بالذات؛ لأنّنا جزء من العالم الاسلامي، وجزء من العالم ككل فيما ينتهي اليه الوضع العالمي، من نتيجة سنحصل على نصيبنا من تلك النتيجة، إن كانت تلك النتيجة خيراً فلنا نصيبنا من ذلك الخير، وإن كانت تلك النتيجة شراً فلنا نصيبنا من ذلك الشر. فإذا كنّا جزءاً من هذا العالم ينبغي أن نتحرك كما يتحرك هذا العالم، العالم الآن يتحرك بانتظار تغيير لهذا الوضع.

وقبل أن أُوضح هذه النقطة بالذات كيف دخلنا في هذا الوضع ـ نحنُ المسلمين ـ المسلمون يمتلكون حضارة من أهم الحضارات التي جاءت لهذه الدنيا، انّ هذه الحضارة التي نسميها بالحضارة الإسلامية دخلت معترك الصراع مع الحضارة الغربية أو بالتعبير الأدق الحضارة

الأوروبية كما يسمونها. وحضارتنا عندما تدخل معترك الصراع معناه اننا أيضاً دخلنا معترك الصراع، والانسان الذي يدخل معترك الصراع المفروض به ان لا يدخل بغير سلاح يدافع به عن نفسه. ولأنّ حضارتنا حملت الطابع السياسي دخلت معترك الصراع؛ ذلك انّ الحضارة التي ليس لها طابع سياسي قد لا تسمى حضارة، وإذا سميت حضارة لا يُهتم بها من قِبل الآخرين. فإذاً الصراع يأتي عندما تأخذ الحضارة طابعاً سياسياً.

سأتدرّج مع هذا من عصر الرسول (ص): في عصر الرسول كانت بدايات اصطباغ الحضارة الإسلامية بالطابع السياسي؛ وذلك عندما كان النبي (ص) في مكة وقبيل أن يُهاجر الى المدينة، وتمثّل هذا في بيعة العقبة. وإذا رجعنا الى الوثيقة التي كُتبت في بيعة العقبة ـ ولمن يريد منكم ان يرجع لهذا: هناك كتاب عنوانه (مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة) للدكتور محمد حميد الله وهو من الكتب المهمة، فقد بذل مؤلّفه جهداً كبيراً في تجميع هذه الوثائق، مثلاً بعض الوثائق عُثر عليها في كنائس عند المسيحيين. ومنها وثيقة اسلامية بخط علي (ع) وبإملاء رسول الله وعليها الختم الشريف لرسول الله، وجود هذه الوثيقة في الكنيسة المسيحية وليس عند المسلمين يعطينا فكرة عن مدى إهمال المسلمين لما هو مجدٌ ومفخرةٌ واعتزازٌ لهم حتى يصل الى اُولئك ويعتزّون

به، مع انهم لا يعترفون بنبوة النبي (ص)؛ لكن لانها وثيقة صدرت من انسان عظيم في التاريخ احتفظوا بها. فهذا الرجل جمع هذه الوثائق، ومن المفيد ان نشير الى أنّ منها وثيقة ترتبط ببلدكم الاحساء، وهو الكتاب الذي وجهه النبي (ص) للمنذر بن ساوى العبدي، عثر عليها في زاوية من زوايا أوروبا.

ففي وثيقة بيعة العقبة نص معاهدة النبي (ص) مع الانصار: الأوس والخزرج، على ان يحموه ويحملوا رسالته الى العالم، على ان يحموه هذ شيء سياسي. ثم لمّا هاجر النبي (ص) الى المدينة المنورة وأنشأ الدول الإسلامية ـ وهذا لا خلاف فيه فكل المسلمين وكل العالم حتى غير المسلمين ـ ، يقولون ان النبي (ص) عندما هاجر الى المدينة المنورة اقا الدولة الإسلامية هناك، وأول دستور كان للدولة الإسلامية ويعرف بدستور المدينة وبوثيقة المدينة وضعه النبي (ص) نظّم فيه علاقات المسلمين داخل الدولة الإسلامية، وعلاقة الدولة الإسلامية مع غير المسلمين الذين كانوا حول المدينة. هذه الوثيقة ـ دستور المدينة أيضاً موجود في هذا الكتاب ـ تشتمل على أكثر من أربعين بنداً من البنود القانونية التي تُعط الحضارة الإسلامية الطابع السياسي، وأنها حضارة فيها نظام يُنظّم شؤو الانسان أو شؤون الناس في هذه الحياة؛ وإلى جانبها وثائق أُخرى، لكن هذه الوثيقة هي الوثيقة الاهم والوثيقة الأساسية.

وفي عهود الخلفاء بعد النبي (ص) ـ أعني عهد الخلافة الراشدة ـ كانت هناك وثائق إلاّ أنّها قليلة يعني ليست بتلك الكثرة ولا بتلك الاهمية، الا وثيقتين: وثيقة كانت من الخليفة عمر بن الخطاب ككتاب وجههُ الى أبي موسى الأشعري في القضاء عندما عيّنهُ قاضياً، ويُعرف بكتاب عمر الى أبي موسى الأشعري في القضاء، يحتوي شيئاً من التعليمات في إدارة شؤون القضاء، وهو مرجع من المراجع التي يُرجع إليها ـ وبخاصة في الفقه السني ـ فإنّ أهل السنة يرجعون الى كتاب عمر في القضاء ويأخذون من التعليمات الموجودة فيه وأكثرها ترتبط بآداب القضاء، وإن كنّا لا نستطيع ان نعدّ هذا جزءاً كبيراً من السياسة؛ لأنّ القضاء قد يتحقق من دون ان تكون هناك دولة اسلامية قائمة، ومع هذا هي وثيقة وتعتبر من الوثائق التي يُرجع اليها عادةً. وفي عهد علي (ع) كانت الوثائق السياسية بكثرة ونهج البلاغة مملوء بهذه الوثائق السياسية، وأهم وثيقة كانت من الامام علي (ع)؛ هي عهدهُ او كتابه الى مالك الأشتر عندما ولاّهُ حُكم مصر، هذا الكتاب من اروع ما كُتب في السياسة الداخلية والسياسة الخارجية يحوي بنوداً قانونية ليُنظّم فيها الشؤون الداخلية للمسلمين في مصر وكذلك الشؤون الخارجية، وهذا العهد عهد الامام علي (ع) لمالك الأشتر، انا أُقدّر لو كان عند غير الشيعة لكتب بالذهب ولشُرح بآلاف الشروح وليس بمئات الشروح؛ ولأُهتمُ به اهتماماً كبيراً ولعُني به عنايةً

فائقة، لكن الذي حصل أن العناية به كانت قليلة، فله بعض الشروح القليلة.

أود أن أخرج -هنا- عن الموضوع قليلاً لكي أركّز على نقطة ترتبط بشخصية الامام امير المؤمنين ثم أعود الى الموضوع ثانيةً. انّ من يقرأ وثيقة النبي (ص) التي دونت بدستور المدينة، وعهد الامام للاشتر يخرج بانطباعات غريبة أنا لمستها في نفسي. انا عشت في الحوزة العلمية وتأثرت كثيراً بلون دراسة الحوزة العلمية، والدراسة بالحوزة العلمية تعتمد العقلانية؛ لأنّها تأخذ المنهج العقلي والمنهج النقلي؛ وفي المنهج النقلي تعتمد العقلانية أيضاً،وعشت في الجامعة وتأثرت أيضاً في الدرس الجامعي، والجامعات تعتمد المنهج التجريبي.

نحن نؤمن بأن النبي محمد (ص) عظيم، نؤمن بعظمة النبي ونؤمن كمسلمين أو كشيعة بعظمة الامام علي (ع)؛ لكن لا من خلال هذا الذي أُريد ان أوضحه، أي ! من خلال دراستنا لشخصية محمد أو شخصية علي، وإنّما لأنّنا نعتقد بأن الله سبحانهُ وتعالى اصطفى محمداً، وانه اصطفى آل محمد، وعلى رأسهم الامام علي (ع)، ولازم هذا الاصطفاء ان يكون محمدٌ عظيماً وان يكون عليٌّ عظيماً؛ لأن الله لا يصطفي الا العظيم، يعني أننا نؤمن بعظمة النبي عن طريق اللازم؛ وهو لأنّ الله اختاره واصطفاه والله لا يختار ولا يصطفي الا العظيم. اما اننا درسنا شخصية

النبي محمد (ص) وتعرّفنا على واقعها وآمنا بعظمة النبي محمد من خلال دراستنا لواقع شخصيته، هذا غير موجود عند المسلمين. قد يُطرح هنا سؤال: ان اللّه كما اصطفى محمداً اصطفى آدم ﴿ ان اللّه إصطفى آدم ....﴾ الآية القرآنية، من أين جاء الفارق بين محمد وآدم؛ نحن نفضّل محمداً على آدم، كل المسلمين لا يختلفون في ذلك. آدم أُصطفي ومحمد أُصطفي، كذلك نوح اصطفاه اللّه ومحمد اصطفاه، عيسى اصطفاه اللّه ومحمد اصطفاه اللّه ، لماذ اذاً يُفضَّل محمد (ص) على سائر الانبياء أو على جميع الانبياء، والاصطفاء موجود عند الجميع، اذن هناك شيء غير هذا، هناك شيء أبعد من الاصطفاء يرتبط بشخصية النبي (ص)، هناك شيء موجود عند علماء الشيعة ـ لابد وإن سمعتم انهم يفضلون أهل البيت على الانبياء ما عدا النبي محمد (ص) ـ وإذا كان الاصطفاء موجوداً عند الانبياء الآخرين، اذن لا بد ان هناك شيء آخر هو الذي أعطى محمداً ان يكون أفضل وأعطى آلهُ ان يكونوا الأفضل، هذا الشيء ما هو؟ الجواب عليه في المدرسة الحوزوية.

نتحدّث ونقول ان اللّه سبحانهُ وتعالى أعطى الولاية المطلقة أو الإمامة المطلقة للنبي محمد (ص)، وهذه الولاية المطلقة أيضاً أعطيت للائمة المعصومين، فبهذا كانوا أفضل أيضاً، ولكن يُشكل علينا الجامعيّ بقوله: إن اللّه يقول في القرآن انّه أعطى الإمامة الى إبراهيم ﴿ أني جاعلك

للناس إماماً قال ومن ذريتي ﴾، والإمامة ما اعطيت لإبراهيم الا بعد النبوة ﴿ وإذ ابتلى ابراهيم ربهُ بكلمات فأتمّهن ﴾، يعني أختبرهُ اختباراً طويلاً عسيراً وهو نبي، يعني لم يُعطَ الامامة الا وهو كبير السن، أي بعد ان كان نبياً لفترة طويلة ثم أعطي الامامة، وبعد أن نجح بالاختبار. إذن ما هو السر؟ ما هو الفارق؟ قد تلمس هذا الفارق في الدراسات الفلسفية والدراسات الكلامية، لكن يبقى مجال للتساؤل وهذا موجود هناك أيضاً. لكن لو رجعنا الى التجريب، الى الطريقة الجامعية لدراسة شخصية آدم وشخصية نوح من خلال مادة (الأديان المقارنة) أو ما يسمونها (الدراسات المقارنة في الأديان) ومن دراسة شخصية النبي محمد (ص) وشخصية الإمام علي نلمس الفارق واضحاً. الوثيقة التي وضعها النبي محمد (ص) والعهد الذي وضعه الإمام علي (ع)، عندما تقرأ الوثيقة وعندما يُقرأ العهد، من خلال قراءة الوثيقة وقراءة العهد تعرّف ان شخصية النبي محمد (ص) وان شخصية الامام علي (ع) استمدتا هذه المعلومات في الوثيقة والمعلومات في العهد من نظرتهما لواقع الحياة. طبعاً هي معلومات أوسع من الأحكام، والأحكام نازلة من اللّه، هذا لا نختلف فيه لكن نفس التنظيم الذي كان في الوثيقة، نفس الالتفاتات للواقع التي كانت في الوثيقة، التنظيم في العهد، التفاتاته، النكات والدقائق الموجودة في الوثيقة والعهد تكشف عن انّ النبي محمد (ص) كان خبيراً في الحياة وكأنه عاش مئات السنين في

هذه الدنيا وجرّب ألوان الحياة في هذه الدنيا، وكذلك الامام علي كأنه عاش مئات السنين ومرّ بآلاف التجارب في هذه الحياة حتى أصبحت هذه الحياة واضحة لديه ومفهومة، ومن المعلوم أنّه لم يتحقّق هذا، فالنبي ما عاش مئات السنين في الحياة وكذلك، الإمام ما عاش مئات السنين في الحياة. اذن من أين جاء هذا؟ الجواب: إنّ هذا جاء من عبقرية موجودة عند النبي محمد غير موجودة عند الآخرين، عبقرية موجودة عند الإمام علي غير موجودة عند الآخرين، والعبقري أعلى من مستوى الذكي.

كيف نفهم هذا بطريقتنا الحوزوية ؟

نعود مرة ثانية فنقول: انّ اللّه يقول بالنسبة الى آدم ﴿ لم نجد لهُ عزماً ﴾ ولذا لا يعد من أولي العزم، فما معنى هذا؟ معناه انّ اللّه سبحانهُ وتعالى عندما يختار، يدرس شخصية ذلك الشخص ـ طبعاً تعبير (يدرس) لا يصح بالنسبة الى اللّه ولكن لا توجد لفظة غير هذه ـ ويعلم واقع ذلك الشخص ومدى استعداده ثمّ يحمّله على قدر استعداده، حمّل نوحاً بمقدار ما يستعد، حمّل محمداً بمقدار ما يستعد، فالرسالة التي حمّلها محمداً (ص) تختلف عن الرسالة التي أُعطيت لآدم، والتي أُعطيت لنوح وإلى السيد المسيح عليه السلام. ولنأخذ مثالاً لبيان هذا: الحضارة المسيحية الموجودة الآن، فانّها تؤكد على السلوك حوالي ٩٠٪ بينما للفكر

لا يوجد أكثر من ١٠٪.

ولو رجعنا الى الحضارة الإسلامية نجد التأكيد على السلوك والتأكيد على الفكر متوازنين؛ يعني بمقدار ما تؤكد الحضارة الإسلامية على الفكر تؤكد على السلوك، انّ هذا التأكيد على الفكر وعلى السلوك يحتاج الى قيادة ضخمة؛ لتستطيع ان تقوم بتربية وتكوين أُمة وفق هذا السلوك الحضاري وتجعل هذه الامة تحمل هذا الفكر الحضاري، والآية القرآنية تشير الى ذلك ﴿ كنتم خير أُمةٍ أُخرجت ﴾ من خلال كلمة أُخرجت، فإننا نقول الآن هذا تخرّج في الجامعة ونريد بهذا ان الجامعة كونت شخصيتهُ ﴿ كنتم خير أُمةٍ أُخرجت ﴾ يعني ان الحضارة الإسلامية التي جاء بها النبي محمد (ص) هي التي كوّنت شخصية هذه الامة وأخرجتها إخراجاً خاصاً كما تكوّن الجامعة شخصية من يتخرّج فيها. ومن نظريات علم الاجتماع وهي أيضاً من نظريات علم السياسة تسمى نظرية البطل أو الابطال، فحوى هذه النظرية هي ان البطل يخلق الامة، وفي كتاب اسمهُ (الابطال) لـ(كارلايل) الفيلسوف الانجليزي المترجم للغة العربية، يذكر ان النبي محمداً (ص) كان يتمتع بشخصية القائد البطل أكثر مما كان يتمتع به الانبياء الآخرون، وهذا تبيّناه من المقارنة بين شخصية السيد المسيح وشخصية النبي محمد (ص)؛ وبين شخصيات الانبياء الآخرين وما تركوه لنا من تراث وفكر وبين شخصية النبي محمد (ص).

أما بالنسبة الى الامام علي (ع) ولماذا نفضّله؛ فلأنّ الامام علياً يختلف عن الآخرين بما أعطاه من فكر وما منحه من سلوك أو ما عوّد جيله الذي ربّاه عليه من سلوك ، فانّك لا تجد في أصحاب الشخصيات الإسلامية الاخرى كأصحاب علي، نأخذ مثالاً: حجر بن عدي فقد عرضت عليه البراءة من علي، وكان من الممكن ان يتبرأ من علي، ومعناه انه إذا تبرأ من علي تبرأ من مبدأ علي؛ ولأنّه رُبيّ من قبل أميرالمؤمنين(ع) قدّم حياته فداءاً لمبدئه، فداءً لمذهبه، لم يتبرأ، وأقدم على أن يُقتل ويضحّي بحياته ولا يتبرأ من مبدئه. انك لن تجد هذا في حياة الشخصيات الإسلامية القيادية الآخرى. خذ أمثلة أخرى: الامام الحسين (ع)، فانّه ضحّى بحياته من أجل الدين، والحسين بن علي الحسني صاحب معركة فخ التي كان يقال انها كربلاء الثانية ضحى بحياته أيضاً، وزيد بن علي بن الحسين (ع) ضحى بحياته، لكن هناك فرقاً بين تضحية الامام الحسين التي بقيت قدوة تُحتذى في العالم كله وليس في العالم الإسلامي فقط، فمن أين جاء هذا؟ انّه جاء من التكوين الخاص لشخصية الامام الحسين (ع).

امثلة نعيشها الآن، انا لمست هذا خلال تجوالي. فالمذهب الشيعي يُسند كما تُسند المذاهب الإسلامية الاخرى ويبذل المال في سبيل نشر الإسلام من خلال المذاهب الإسلامية الاخرى، من قبل الدول الإسلامية كالمملكة العربية السعودية التي فتحت حوالي (١٨٠٠) مركز اسلامي في

انحاء العالم، وكذلك الكويت والمغرب العربي والامارات وقطر والدول الإسلامية السنية كلها تشارك في البذل من أجل الدعوة الى الإسلام على ضوء ما يؤمنون به، وهذا أمر طبيعي، والمذهب الشيعي الآن يُدعَّم من قبل ايران فقط، وإيران دولة محدودة القدرة، وإذا قارنا إيران بالدول الإسلامية الاخرى فانّ دعمها محدود، إلاّ انّ النتيجة تختلف تماماً، فالمفروض انّ المذهب الشيعي عندما يدعم من قبل دولة واحدة يكون انتشاره واحد من خمسة وانتشار المذاهب الاخرى اربعة اخماس أو اكثر، أي تكون نسبة انتشار المذهب الشيعي اقل بكثير من انتشار المذاهب الاخرى لكن الامر بالعكس، لماذا؟ لأن ائمة أهل البيت (ع) ركّزوا على ان يبقى باب الاجتهاد مفتوحاً عند الشيعة وربّوا أصحابهم على هذا ، فحركة الفكر مستمرة في المذهب الشيعي، بينما في الجانب الآخر، الاجتهاد توقف حركة الفكر اذا كان فيها تحرك عندهم فليس في اطار الفقه او في اطار الشريعة، وانما في اطار الاساليب والوسائل وطريقة العرض وما شاكل. هنا يثار التساؤل: من أين جاء هذا؟ إنني أعزوه الى شخصية علي عليه السلام التي استطاعت ان تأخذ الخط الرسالي الذي كان عند محمد (ص) تماماً فتؤكد على الجانبين السلوك والفكر معاً.

وعلى أنّ الفلسفة من الوجوه للحضارة، والحضارة التي لا تملك فكراً فلسفياً لا تعتبر حضارة، لو رجعنا ـ على هذا الأساس ـ الى تاريخ

الشخصيات العلمية الإسلامية لوجدنا ان الذي وضع الفلسفة الإسلامية هو الامام الصادق (ع) وربّى فلاسفة إلاهيين متخصصين في الفلسفة الاسلامية، فأعطى بهذا الحضارة الإسلامية الوجه الآخر من وجوهها، هذه الاسهامات تُعطينا ان الامام علياً كان يتميّز بعنصر خاص في شخصيته، كما كان النبي محمد (ص) يتميّز في شخصيته، من هنا جاء التفضيل الذي ألحت إليه.

كنت أتحدث عن الوثائق فلأَعد إليها، لأقول: بعد علي (ع) توقفت الوثائق، واذا كانت هناك وثائق لا نستطيع ان نعدها وثائق ذات أهمية، وكان هذا التوقف منذ العهد الأموي، فالعهد العباسي، ثمّ العهد العثماني، حتّى عهدنا هذا.

قلت: إنّ الحضارة التي تملك دستوراً للحياة، وتملك نظاماً للحياة، لديها فلسفة تُفلسف فيها، نظرتها الى الكون والانسان والمجتمع والحياة تعتبر من الحضارات القوية، والذين لديهم أطماع لابد وان يحسبوا حساب هذه الحضارة، ونحن نفهم ان الغربيين دخلوا البلاد الإسلامية واستعمروها لفترة من الزمن وركّزوا على اختراق الحضارة الإسلامية.

سأبدأ الآن باعطاء فكرة عن الصراع الحضاري بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية. بدأ الصراع بعملية الاختراق، والاختراق

مصطلح اجتماعي سياسي يعني انه اذا كان هناك جماعة متماسكين ويكوّنون صفاً واحداً وكأنهم جسم واحد، وتأتي وتخترق هؤلاء فتشقهم، اذا شقت الصف، وضعفت الجماعة، هذا هو الاختراق. وكيف تم الاختراق؟ الجواب: عندما دخل الغربيون الى البلاد الإسلامية أنشأوا المدارس، وباختصار كان بيدهم وسائل التربية والتعليم ووسائل الاعلام. طبعاً الاعلام كان في ذاك الوقت بسيطاً، وليس كما هو الآن وفرضوه على المسلمين فرضاً ، والحضارة الغربية بدأت تتحرك هذا التحرك من بداية القرن التاسع عشر الميلادي يعني من سنة ١٨٠٠ ، وفي ذاك الوقت كان المسلمون في حالة ضعف بعد سقوط الدولة العباسية ومجيء المغول والدول المتتابعة ومجيء الدولة العثمانية، وما كان عندهم العدة الكافية من الوسائل والاساليب وبالمستوى الموجود عند الغربيين، فالغربيين استعملوا وسائلهم وأساليبهم لما دخلوا وهيمنوا بذلك على المسلمين، وأصبحت الحضارة الإسلامية تعاني من شيء يُشبه الانهزامية، وبقي هذا الوضع تقريباً الى ما بعد الحرب العالمية الاولى يعني الى القرن العشرين، أوائل القرن العشرين ١٩١٤.

ومن ١٩٢٠ بدأ المسلمون يتحركون في الدفاع عن أنفسهم ولا يريدون ان يخترقوا الحضارة الغربية ولكن يريدون ان يدفعوا هذا الغزو الاوروبي الذي دخل عليهم وهيمن على حضارتهم، فكانت ثورة العشرين

الإسلامية: فقد عقدت مؤتمراً في باريس ووضع المؤتمر البيان العالمي، الذي هو متأثر الى حد كبير بالدستور الاسلامي مع بعض الخلافيات الفقهية ـ وطبعاً هم أيضاً توّهوا بالدستور الإسلامي وأطروه الى حد كبير ـ ثم عُقدت ندوات لدراسة الحضارة الإسلامية التي أعادت لها وجهها القانوني، منها: الندوة العالمية لاتحاد العلماء الاجتماعيين المسلمين، هذه الندوة عقدت لدراسة النظرية السياسية الإسلامية. وما كان الغرب يسمح بأن تُدرس نظرية سياسية اسلامية أو تطرح نظرية إسلامية وفي سنة ١٩٨٢ عُقدت في (أنديانا) في أمريكا ندوة وأصدرت وثيقة طويلة ومفصلة في النظرية السياسية الإسلامية، وحتى الآن أصبح عندنا ثلاث مجموعات: الدستور الإيراني والبيان العالمي لحقوق الانسان في الإسلام والدراسة للندوة التي عقدت في (أنديانا) عن النظرية السياسية الإسلامية، ثم عُقدت ندوة في اليونسكو ـ ومقرها في فرنسا وتتولى الجانب الثقافي في كل العالم ولها مكاتب في كل أنحاء العالم ـ أيضاً عقدت ندوة سنة ١٩٨٢ ـ هذا من ردود الفعل التي كانت هناك ـ ومن ردود الفعل: فتح ما يقرب من مائة مركز دراسات لدراسة الفكر الشيعي والشيعة، عندما اقول دراسة، فعلاً هي دراسة، أنا دخلت في بعض المؤسسات ورأيت عندهم مكتبة كبيرة فيها جناح خاص عن الشيعة، ربّما من أول كتاب طُبع عند الشيعة وحتى الآن كلما يصدر كتاب فهو موجود هناك، وعندهم أشياء

أخرى ترتبط بالشيعة والتشيع، وفي جامعة بنسلفانيا في سنة ١٩٩٣ عُقد مؤتمر لدراسة الشيعة والتشيع أيضاً هو من ردود الفعل والاهتمام بها وفي تركيا ولمدة ثلاث سنوات قامت مجموعة من العلماء في المعهد الإسلامي ـ وهو تابع لجامعة اسطنبول ـ قاموا بدراسة الشيعة والتشيع، ذهبوا الى ايران ودرسوا التشيع على الطبيعة كما نقول وقابلوا مجموعة من العلماء ثم عقدوا ندوة أو مؤتمراً وتكلموا عن الشيعة وعن التشيع وعن الفكر الشيعي وكان فيه تركيز ـ هذا ايضاً يرتبط بالموضوع، كل هذه الندوات تعقد والدراسات عن الشيعية والتشيع ـ فيها تركيز على ان الفكر الشيعي هو الفكر الاقوى في مجال الصراع مع الحضارة الغربية.

قلت انه الآن يوجد صراع قائم بين الحضارتين وبإمكانكم لمن يريد ان يقرأ ـ أن يرجع الى مثل: كتاب (المواجهة بين الإسلام والغرب) للدكتور محمد مورو ففيه نقولٌ كثيرةٌ لزعماء من أمريكا وأوروبا، زعماء سياسيين ولمفكرين عالميين حول هذا الصراع وحول الحضارة الإسلامية، أيضاً من ردود الفعل تأسيس المجمع العالمي لأهل البيت في طهران وهو يُعنى بدراسة أوضاع وأحوال الشيعة في العالم مع اختلاف الهدف، أُولئك يهتمون بدراسة الشيعة والتشيع لأهدافهم، وهذا يهتم بدراسة الشيعة والتشيع ولكن مع اختلاف الهدف بينه وبينهم. ومن هذا: محاضرة الأمير

جارلس ولي عهد بريطانيا في المعهد الإسلامي لجامعة أكسورد، فقد نوّه فيها بالحضارة الإسلامية ووجه نداءً الى الغربيين معرباً ان المسيحية الآن غير قادرة على ان تقضي على المشكلات الاخلاقية الموجودة في المجتمعات الغربية، والإسلام والقرآن ـ بتعبيره كان يقول القرآن ـ هو القادر على ان يحل هذه المشكلات.

وبالأمس قرأت في الصحف أن بريطانيا بدأت تخو خطوتها الى إدخال الدين أو الاديان ـ كما يعبر الاعلان ـ كمادة دراسة وتوجيهية في المدارس، انظروا كيف يقول الاعلان (الاديان) ولم يقل دين المسيحي؛ وذلك ليُدخل الإسلام لأن الإسلام هو القادر كما ألحت.

النتائج والتوقعات التي تذكر سواءاً من السياسيين ـ من المفكرين غير السياسيين ـ كلها منشورة ـ وأنا لم آتِ بشيء من عندي ـ هذه التنبؤآت والتقديرات تقول ان الإسلام سيخرج من هذا الصراع منتصراً، ومتنهار الحضارة الغربية، وبعضهم كان صريحاً، كالرئيس نكسون الرئيس السابق للولايات المتحدة الأمريكية ـ فانّ له كتاباً وبكل صراحة يقول فيه: لابد من الاجهاز على الحضارة الإسلامية، لابدأن نُجهز على هذه الحضارة وإلاّ ستنتصر، لماذا؟ وأنا أشرت الى هذا في بعض محاضراتي وألمحت للرسم البياني؛ إنهم ليسوا مثلنا يجلسون يفكرون في غرفهم، إنّ عندهم دراساتٍ ويعتمدون الرسوم البيانية ويراقبون كيف يتحرك المؤشر

في الرسم البياني ـ، في سنة ١٩٩٣ ـ هذه التي انتهت قريباً ـ رأوا أن المؤشر للحضارة الغربية بدأ ينحدر بسرعة والمؤشر للحضارة الإسلامية بدأ يصعد بسرعة، إنّهم يقدّرون الآن أن نقطة التصادم بين الحضارتين لا تتجاوز سنة ٢٠٠٠م، وقد يحصل التصادم قبل سنة ٢٠٠٠م ويفهم الكثيرون من هذا انّه نوع من الارهاصات لخروج الامام المنتظر (ع)، وأقول ـ وبالطبع أنا واحد منكم ـ أرجو ان لا يخرج الامام المنتظر ونحن لم نكن قد مهّدنا له بشيء ونحن نحسب أنفسنا عليه، انا شخصياً أخجل ان أواجه الامام لو خرج وأنا لم أُمهّد له بأيّ شيء حتى بكلمة تلقى أو كلمة تقال، نحن بحاجة الآن الى حملة ثقافية مكثفة لنشر فكر أهل البيت في داخل صفوفنا وفي الخارج، وإيران ـ حقيقة أقول هذا، لا أُريد ان أمدح ايران لأنّها قادرة على أن تمدح نفسها، لكن هذا واقع موجود ـ، إيران خطت خطوات جيدة في هذا المجال ، أصدرت دائرة معارف، وأيّ أمة لا تمتلك دائرة معارف لا تعتبر أمّة متحضرة، ـ فمثلاً الغربيون لا يعتبرون الامة العربية امّة متحضرة لأنها لا تملك حتى دائرة معارف التي هي أبسط الاشياء ـ بدأ الايرانيون يصدرون دائرة معارف، ودائرة معارف اخرى لفقه اهل البيت (ع)، وأنشأوا مؤسسات ضخمة ومهمة وكثيرة يعمل فيها علماء اكفّاء وخبراء من مختلف انحاء العالم، كذلك أصدروا معجماً للفقة الجعفري يحتوي المئات من الكتب والرسائل الفقهية. والفقه

الاسلامي هو قانون ونظام الإنسان في هذه الحياة، فرداً ومجتمعاً وأمّة، وانّك لو ذهبت الى العالم كله لا تجد أُمة تمتلك هذه الثروة من الفقه هذه الثروة من القانون مع انّها متون وليس موسوعات فاذا اضفنا اليها الموسوعات يكون الرصيد ضخماً جداً، والآن لديهم مئات الرسائل العلمية والعملية يترجمونها الى اللغات الأُخرى ليعرّفوا العالم فكر أهل البيت حتى يقولوا لهم اذا كنتم تريدون النظام العالمي الذي يُسعد البشرية فإنّ هذا النظام العالمي متمثل في فقه آل محمد الموجود أمامكم، وعندهم الآن (٨٠٠) دورية بين جريدة وصحيفة ونشرة: ٢٥ باللغة العربية، و ٢٥ باللغات الأُخرى والبقية بلغتهم الام اللغة الفارسية، هذا إسهام قيّم جداً، ومفيد جداً.

ليكن أيضاً لنا اسهام، انا ذكرت هذا ليس دعاية لايران وانما اريد ان اقول هذا إسهام من إخواننا لكن في بلاد اخرى ليكن لكم إسهام أيضاً في هذه الناحية، ومن المفيد أن أُشير الى أنّ أهل السنة أيضاً ينتظرون الامام المهدي، وأنا سمعت محاضرة لاحدهم يقول لو خرج الامام المهدي أول من يؤمن به نحن أهل السنة وليس الشيعة وحدهم، ذلك لانهم أيضاً يؤمنون بالامام المهدي، وأيضاً إن أعمالهم التي يقومون بها الآن من إصدار مجلات وصحف وكتب هي تبشير بالاسلام وهي في الوقت نفسه تمهيد للامام المهدي. انا اعتبر انّه كلما انتشر الفكر الإسلامي بأي

مـذهب كان، فهو يمهد الأرضية للامام المهدي عليه السلام، لكن نحن اتباع الامام المهـدي أولـى بالتمهيد له مـن سـوانا، فأرجو أن لا نقتصر على (اللهم قرب فرجه) وندعو ونحن نعرف انّ دعـائنا ليس مستجاباً، لأن أعمالنا وبيئاتنا الملوثة تحـجب الدعاء، وأنت تقرأ في دعـاء كميـل «اللهم اغفر لي الذنوب التي تحجب الدعاء»، ولأننا نعرف أنّ دعـائنا محجوب فلا تُتعب أنفسنا به لأنّه لا يُخرج الامام المهدي، انّه من نوع العادة لا يخرج من القلب، ولو كان يخرج من قلوبنا لعملنا ممهدين للامام المهدي.

أُريد أن أقول في الختام كلمة أنهي بها الموضوع، هناك رواية موجودة، والرواية ان لم تكن متواترة فهي قريبة من المتواترة تروى في الكتب السنية وتروى في كتبنا، (اذا رأيتم الرايات السود قد أقبلت من خراسان فان فيها خليفة اللّه المهدي)، المفروض أن يكون من عندنا وأن لا يكون من هناك لكن ما أدري لماذا؟ فالذي أرجوه إخواني علينا أن نتحرك، انا لا أقول نستعد عسكرياً لانه نحن لسنا في مستوى هذا، لكن بإمكاننا أن نستعد فكرياً بفكر أهل البيت، هذا الفكر العظيم نكتب ننشر نتحدث نحاضر كل واحد باستطاعته، العالم كله الآن يتحرك.

أنت في معترك الصراع وستصلك نتيجة الصراع إن خيراً وإن شراً، نحاول أن نسهم بشيء لئلا يخرج الامام المهدي (ع) ودورنا لا يتعدى أن

نقول له يا مولانا مع الأسف نحن كذا ونحن كذا، الأسف هنا لا ينفع، فأرجو أن نكون بمستوى قضيتنا وبمستوى رسالتنا.

والحمد لله رب العالمين

لبنان ـ بيروت
ص.ب: ٢٥/٦٣ الغبيري